الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الأدب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

قسم اللُّغة والأدب العربي
التَّخصُّص: لسانيات عامَّة

الآراء التَّربوية والتَّعليمية في رسالة محمَّد البشير الإبراهيمي إلى المعلمين الأحرار في ضوء التَّعليمية الحديثة

مذكرة مقدَّمة لاستكمال متطلَّبات الحصول على شهادة اللِّيسانس

إعداد الطّالبتَيْن:
بشرى مزين
سلوى منصوري

إشراف الأستاذ:
عبد الحفيظ شريف

السنة الجامعية:
2021-2022م

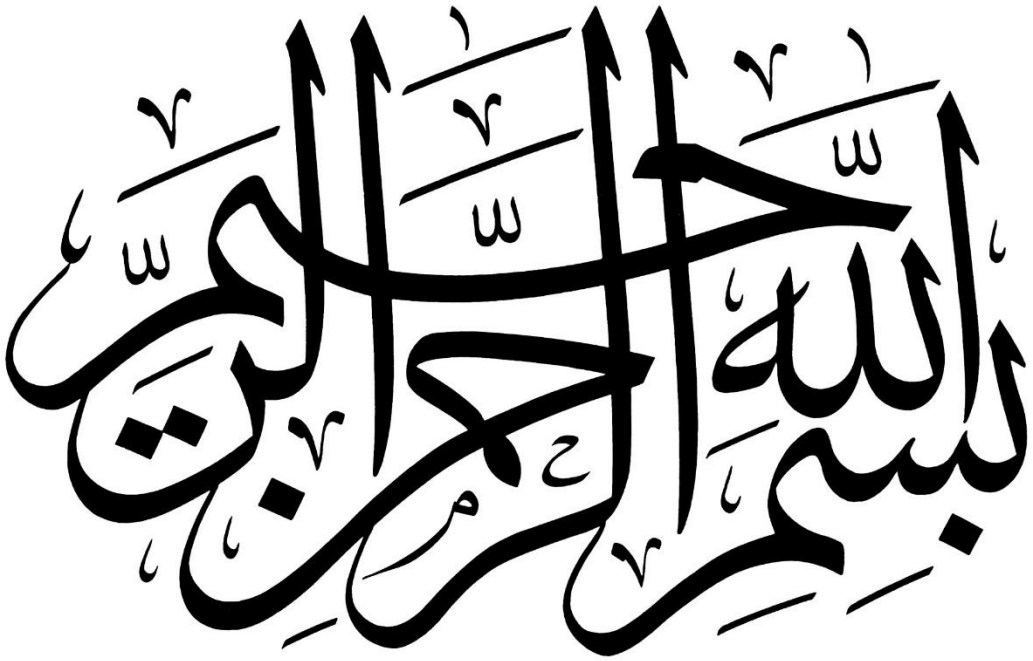
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أمَّا بعد:

إلى من ساندونا في مسارنا الدراسي الوالدين الكريمين حفظهما الله وأطال عمرهما ورعاهما، إلى سندنا في الحياة من إخوتنا وأصدقائنا أيَّام الدراسة، إلى شهدائنا الأبرار رحمة الله عليهم ورضوانه إلى علمائنا الكرام رحمهم الله وغفر لهم.

وإلى أغلى وأعزِّ شخص على قلبي المرهف؛ أمي تاج رأسي التي أنارت سبيلي بمحبَّتها الفيَّاضة وساندتني في مشواري الدِّراسي الطويل المملوء بالعثرات، علمتني الصبر والاجتهاد والمثابرة فبفضلها أتممت دراستي، وهذا جزء بسيط لا يوفي حقَّها لأنَّها سهرت وربَّت وتعبت من أجلي كثيرا. إلى أمي الحبيبة.

لن أنسى فضل الأساتذة الذين شجَّعوني على مواصلة الدِّراسة في الطَّور الثَّانوي أمثال أستاذ العلوم بن بو عبد الله وإلى أستاذنا الفاضل "عبد الحفيظ شريف" الذي أتعبناه معنا خلال إنجازنا للمذكِّرة، فأتمنَّى ألاَّ يذهب جهده الجبَّار سدى، حفظه الله ورعاه، ورزقه من حيث لا يحتسب، فلا أنسى لين معاملتك معنا، وتقديرك لظروفنا الصَّعبة، ستظلُّ أجمل ذكرى مرَّت في حياتي لأنَّك قبل أنْ تكون معلِّمي فأنت بمثابة القدوة والأب.

بُشرى

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أغلى ما لديَّ، والدي الكريمين اللَّذين تعبا في تربيتي وبذلا جهدا كان له من الفائدة نصيب جعلني ما أنا عليه اليوم، فمن منبري هذا أودُّ أن أسدي جزيل الشُّكر لمن لن تتزعزع مكانتهما في مساحات قلبي الواسعة.

وإلى أختي العزيزة التي ساندتني في كلِّ الظُّروف حفظها الله.

وإلى خالتي التي كانت دائما تشجِّعني أنار الله طريقها.

سَلوى

شكر وعرفان

لم يكن هذا العمل ليرى النُّور لولا فضل الله وعونه فمن الواجب علينا تقديم الشُّكر والتَّقدير إلى الأستاذ الفاضل عبد الحفيظ شريف المشرف على عملنا الذي تتبَّعه بحرصٍ وأمانة حتَّى برز بهذا الشَّكل، فكلُّ الاحترام والتَّقدير لهذا الفارس العظيم.

نقدِّم جزيل الشُّكر لكلِّ الأساتذة الذين درَّسونا في كلِّية الأدب واللغات.

إلى دفعة ليسانس لسانيات عامَّة للموسم الجامعي 2021-2022م، ونخصُّ بالذِّكر الذين كانوا بمثابة الإخوة.

كما أشكر كلَّ شخص قدَّم لنا المساعدة ويد العون من قريب أو من بعيد.

لكم منِّي ألف شكر وتقدير.

بُشرى

شكر وعرفان

أشكر الله عزوجل أولا قبل كل شيء وأحمده حمدا كثيرا، ثمَّ أتقدَّم بأسمى كلمات الامتنان والتَّقدير إلى الأستاذ الفاضل شريف عبد الحفيظ الذي أشرف على هذا البحث، ولم يبخل عليَّ بنصائحه وتوجيهاته، والذي لم تمنعه مسؤولياته ومشاغله من متابعة هذا العمل المتواضع بصبر كبير، فكانت إرشاداته هي المنهج الذي سرت عليه في إنجازي لهذه المذكِّرة.

كما أوجِّه شكري لكلِّ الأساتذة بقسم اللُّغة والأدب العربي الذين عشت معهم مشوارا دراسيا شيِّقا، كما لا أنسى أنِ أشكر كلَّ من ساندني وشجَّعني ولو بكلمة طيِّبة.

سَلوى

مقدِّمة

مقدِّمة:

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على من لا نبي بعده، أما بعد: لقد خصَّ الله سبحانه وتعالى العلماء من عباده بمكانة عظيمة سواء في الدُّنيا أو في الآخرة، وقد دعا ديننا الحنيف يدعونا إلى الاهتمام بالتعليم والقضاء على الجهل، لأنَّه يوسع المدارك ويعطي القدرة على الفهم، كما يساهم في تنظيم حياة الإنسان في مختلف المجالات، ويساعد على الاكتشافات والابتكارات التي تنفع البشرية، فلولا التَّعليم لما وصل العالم إلى ما وصل إليه اليوم من تقدم وارتقاء، فهو مقياس تطور الدول ورقيها، حيث ومن أهم أدوات بناء المجتمعات.

وقد جاء بحثنا هذا "**الآراء التَّربوية والتَّعليمية في رسالة محمَّد البشير الإبراهيمي إلى المعلمين الأحرار في ضوء التَّعليمية الحديثة**" ليتابع مشهدا من مشاهد مرحلة خطيرة مرَّت بها الجزائر زمن الاحتلال، حتَّى بعث الله لها أئمة ضحَّوا بأنفسهم وسخَّروا أقلامهم لخدمتها والدِّفاع عن مقوِّماتها، من أمثال الشيخ الإبراهيمي العائد من دمشق سنة 1920م بما قدَّمه لخدمة العلم، وبما أبداه من آراء تعليمية نابعة من عالم ومشتغل بالتدريس فهو معلم خبير. وما تبنَّاه من توجُّه إسلامي وطني دافع عنه في كتاباته كلها.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترنا التَّطرُّق لهذا الموضوع بالتَّحديد دون غيره لعوامل عدة نذكر منها: إن المدوَّنة تتناول قضية وطنية جزائرية يدفعنا الانتماء إلى معالجتها باعتزاز. كما أنَّ القيمة العلمية

لآراء محمَّد البشير الإبراهيمي حول المنظومة التَّربوية والتعليمية تستحقُّ الدراسة نظرا لأهميتها في تحسين مستوى التَّعليم في شتى أطواره. ثمَّ إنَّ آراء الشَّيخ الإبراهيمي تتقاطع مع الآراء التَّعليمية الحديثة، وتوافق مقولاتها الحديثة مع ما قاله. وهو ما يدعونا إلى اعتماد آراء الإبراهيمي والاستفادة ممَّا وجَّهه من مقالات وخطابات لإصلاح المناهج التَّعليمية، رغم مرور زمن طويل عليها، لا زالت صالحة للاستناد عليها.

إشكالية الدراسة:

لقد كانت آراء الإبراهيمي موجَّهة للجزائريّين لتخليصهم من الجهل الذي كان يعتريهم آنذاك بسبب قمع فرنسا لحقوقهم. والإشكالية المطروحة هنا: ما هي أوضاع التَّعليم في تلك الحقبة؟ وإلى أيِّ مدى ساعدت هذه الآراء التَّعليمية في إصلاح التَّعليم العربي الإسلامي في المدارس الحرَّة بالجزائر؟

الفرضيات: تحيل الإشكالية المطروحة على عدة فرضيات منها:

– ألا يمكن اعتبار الأوضاع المزرية التي واجهها المعلِّم خلال الاستعمار من انقطاع عن التكوين في مراحل مبكرة والالتحاق بالتدريس اضطرارا مشكلة؟

– هل كانت مناهج التَّعليم الحرّ مقاومة للحفاظ على عروبة الوطن وأصالته؛ أم أنَّها كانت في مواجهة المناهج التعليمية الفرنسية المعتمدة.

– ألا يمكننا عدُّ ندرة الوسائل في المنظومة التعليمية الحرَّة في الجزائر، والضَّعف المادي، وعدم توفُّر مؤسَّسات للتدريس، مانعا أو عائقا أمام نجاح العملية التَّعليمية؟

المنهج المتَّبع:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التَّحليلي، وهذا المنهج يعتمد على:

وصف الظَّاهرة: أيْ وصف المنظومة التَّعليمية الحرة زمن الاحتلال.

تحليل الظَّاهرة: أيْ دراسة وتحليل ما واجهه التَّعليم العربي من صعوبات وآثار.

بنية البحث:

يتألَّف هذا البحث من مقدِّمة يليها مدخلٌ تمهيديٌّ وأربعة فصول وخاتمة. فتناولنا في المقدِّمة لمحة عامة عن أهمِّ الجوانب التي تخص الدِّراسة، وجاء المدخل وصفا لواقع التعليم العربي الحرِّ في الجزائر إبَّان الاحتلال.

أما الفصل الأوَّل فجاء تحت عنوان "مواصفات المعلّم النَّاجح عند البشير الإبراهيمي" فذكرنا صفات المعلم الجيد في رأي الإبراهيمي في ضوء التَّعليمية الحديثة.

أما الفصل الثاني فتناولنا فيه المتعلِّم عند البشير الإبراهيمي باعتبار الجنسين من الذُّكور والإناث. وباعتبار السِّنّ، وكذلك باعتبار الانتساب إلى مؤسَّسات التعليم.

أما الفصل الثالث فتطرَّقنا إلى المنهاج المعتمد في المدارس الحرَّة من الكتاب المدرسي والمواد المقرَّرة والتوقيت والعطل والتَّفتيش التربوي، كلُّ ذلك وفق التَّعليمية الحديثة.

أما الفصل الرَّابع فتحدَّثنا فيه عن الوسائل التي اعتمدتها جمعية العلماء في التعليم الحرِّ من كتاتيب، وبعض المدارس النَّاشئة والأقسام الملحقة بالمساجد، وما تعرَّضت له من مضايقات شديدة، وكذا النوادي التي كانت معدَّة لاستقبال الشباب.

ثمَّ الخاتمة التي عرضنا فيها أهم النتائج التي استخلصناها من دراستنا لهذا الموضوع.

الدارسات السابقة:

تناولت كثير من الدراسات السَّابقة قضايا الآراء التَّعليمية في مدارس جمعية العلماء أمثال رابح تركي بكتابه: الشَّيخ عبد الحميد بن باديس؛ فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ومحمَّد الحسن فضلاء بموسوعته القيِّمة: المسيرة الرَّائدة للتعليم العربي الحرّ بالجزائر، ولكنَّ بحثنا هذا تابع الآراء التَّربوية والتَّعليمية عند الشيخ محمَّد البشير الإبراهيمي في ضوء الدراسات والآراء التربوية الحديثة.

الصُّعوبات التي واجهت البحث:

لقد كان للوضع الوبائي الذي شهده العالم كلُّه أثر بالغ على الجانب النفسي، وعلى صعيد المتابعة المستمرة للبحث، فقد تسبب نظام الحضور الدوري بنظام التَّفويج والانقطاع الإلزامي عن الدِّراسة في اضطراب متابعة العمل من قبل المشرف، كما كانت طبيعة العمل الأكاديمي على هذا المستوى مناسبة لمباشرة التطبيق العملي لمعارفنا النَّظرية السَّابقة، وقد شكَّل لنا ذلك صعوبة لم نتجاوزها إلاَّ بعد فترة طويلة.

مدخل:

نظرا لأهمية التعليم في حياة الفرد داخل مجتمعه؛ من الضروري الاهتمام بهذا القطاع لأن الحياة لا تكتمل إلا به، غير أنَّ الواقع الذي شهدته الجزائر خلال الغزو الفرنسي الذي حاول محاربة التعليم خاصة علوم العربية وعلوم الشريعة الإسلامية والغرض من

تلك السياسة نشر الجهل في أوساط الفئات المكونة للشعب الجزائري، فصد الجزائريين عن مزاولة الدراسة، وتعرضوا إلى أشكال من المضايقات كفرض الغرامات المالية والسجن وغلق المقرات والمؤسسات الدراسية، من ذلك قيام ميشال سنة 1933 بتوقيع منشورين وجَّههما بالخصوص إلى رجال الأمن والإدارة لمنع رجال جمعية العلماء المسلمين من تأدية كالتعليم اللغة العربية، ومنها صدور قرار رينيي 1935 بإقرار عقوبة السّجن وفرض الغرامات المالية على المعلِّمين، حتى استصدروا هذا القانون وأطلق عليه عبد الحميد ابن باديس اسم "قانون العقاب الرهيب"، "كل من يعلِم بلا رخصة يغرم، ثم يسجن" 8 مارس "كل من يطلب الرخصة لا يجاب" هذا عمل الإدارة الكثير المتكرر 1938.وبعد شهور من صدور هذه القوانين التعسفية أبدى العلامة عبد الحميد ابن باديس استنكاراً واسعاً ضد هذه القرارات، ورغم كل هذا الوعيد والزجر والتهديد بقي رجال العلم صامدين ومصمِّمين على تعليم أبنائهم ذكوراً وإناثاً.

وقد مدح الشيخ بن باديس صبر أعضاء الجمعية فقال فيهم قولا: "فإننا بقدر ما نرثي لكم ما تنقلون من ظلم عنت، نضبطكم على ما تظهرون من صبر ويقين... فاثبتوا وصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وما أنتم فيه ما هو إلا غمة." أغلقت السلطات الاحتلالية نحو ما يزيد عن 1000 مدرسة ابتدائية وثانوية مما دفع أغلبية المدرسين لهجر مراكزهم فسبب ذلك حرمانا للأجيال المتعطشة لتحصيل العلم، لكن فرنسا فتحت بعد ذلك عدة مدارس لتدريس لغتها وعلومها وآدابها، فكان هدفها الأساسي من

التعليم الفرنسي في الجزائر بدرجة أولى هو طمس مقومات الهوية والشخصية الأصلية للمجتمع الجزائري بنشر تعليم بخاصيتين:

أوَّلهما أنَّه تعليم تبشيري يكونه ويديره أعضاء الجمعيات التبشيرية في المناطق التي تستقر فيها، وهو تعليم خاص يستهدف الفئات المشرَّدة والفقيرة كإغرائهم وتقديم مساعدات صحية لهم وإعطائهم المؤن غذائية لسدِّ جوعهم من أجل كسب ثقتهم، ثم عرض الدين المسيحي عليهم، وزرع العقيدة النصرانية في نفوس الأطفال منذ نعومة أظافرهم.

وثانيهما أنَّه تعليم انتقائي فالمدرسة الفرنسية لم تشمل كلَّ الطلاب عكس المدارس الأخرى التي تستقبل التلاميذ جميعا بغض النظر عن الكفاءة و المهارات فتميز هذا التعليم عن غيره بطبقية والغاية منه تكوين نخبة جزائرية متشبعة بالثقافة الفرنسية فيصبحون موالين لفرنسا، كما أنَّ ما يميز هذا النوع من التعليم أنَّ سلطات الاحتلال هي التي تفرض منهجها الدراسي على المدارس التابعة لها كتدريس المواد العلمية باللغة الفرنسية وتلميع صور الاحتلال الفرنسي ومخططاتها كأنه بطل يحمل صولجان العلم والثقافة بنشر نوره في حنايا الجزائر المظلمة بواسطة تشويه التاريخ الإسلامي وغض النظر عن جغرافية الجزائر وتاريخها العريق بجعلها جزأ لا يتجزأ من فرنسا ومن أشهر الشعارات التي نادى بها المعمرون "الجزائر الفرنسية"

مع بداية القرن العشرين ضعفت المقاومة المسلحة ولكنها شهدت قيام الجزائريين برفع مطالبهم ورفضهم قانون التجنيد الإجباري ذلك تزامنا مع ظهور نخبة من المثقفين أمثال

بن باديس ومحمد البشير الابراهيمي والطيب العقبي.. الخ، فكانوا ينادون بإصلاح المجتمع بواسطة تحرير عقولهم من الجهل وتطهير الإسلام من البدع والخرافة وإحياء الثقافة العربية ونشرها والمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية حضاريا ودينيا وتاريخيا، وكانت البداية بالتربية والتعليم فقام العلامة عبد الحميد بن باديس بتأسيس مكتب للتعليم الابتدائي العربي عام 1926م، انبثقت عنه مدرسة جمعية التربية والتعليم الإسلامية 1930م، كذلك اهتموا بتعليم المرأة وتثقيفها على نطاق واسع لتشارك الرجل من أجل نهوض بالجزائر، وقامت على سبيل ذلك بإصلاح أساليب التعليم وطرق التدريس وإصلاح الكتب المدرسية وتوحيدها، ولكنَّ هذا الواقع انبثق عنه نخبتان؛ الصنف الأول درس في المدرسة الفرنسية وتشبع بثقافتها، أمَّا الصنف الثاني فدرس في مدارسها، لكن بمجرد انتهاء دوامهم فيها يتوجهون لمزاولة دراستهم في المساجد والكتاتيب التَّابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و قد تركت فرنسا التعليم في الزوايا على حاله في الأرياف والقرى ما دامت هذه المراكز لا تشكل خطرا محدقا لأنها تحت مراقبة الاستعمار.

الفَصل الأوَّل:

مواصفات المعلم النَّاجح عند البشير الإبراهيمي

1- عناصر التَّعليم العربي الحرِّ في الجزائر من وجهة النَّظر الإبراهيمية:

1-1- المعلم النَّاجح عند محمد البشير الإبراهيمي:

المعلم هو القائد التربوي الذي يتصدَّر عملية توصيل الخبرات والمعلومات وتوجيه السلوك لدى المتعلمين، إنه قائد تربوي يخوض معركته ضد الجهل والتخلُّف بشجاعة فائقة، فهو يضحي بالغالي والنفيس من أجل تقديم رسالته النبيلة حتى وصفه الناس بالشمعة التي تحترق لتضيء الطريق أما الآخرين، وهذا دليل على مكانته.

إن دور المعلم في بناء الإنسان وقيام الحضارة أمر لا يستطيع أن يتجاهله أحد، إذ أن نجاح النظام التعليمي يعني نجاح الحضارة ورقيها، فلقد قيل للألمان عند انتصار ألمانيا في الحرب السبعينية: "لقد انتصر معلم المدرس الألمانية"، إذن المعلم هو الذي يصنع النصر أو يكون سببا في الهزيمة.

1-1-1- صفات المعلم الخلقية:

أ- **القدوة الحسنة:** المعلم هو الشخص المربي الذي يبذل ما بوسعه لإعطاء تلاميذه العادات الحسنة، وهو الكائن الوسيط بين المتعلِّم والمعرفة فهو الذي ينقل المعرفة وما لديه من قوانين علمية ونظرية، وهو مربي الأجيال، والمعلم هو وسيلة المجتمع والأداة التي يستند عليها ومن أهمّ مواصفات المعلِّم التي تحقِّق ذلك القدوة الصَّالحة فـ "القدوة الصالحة في التربية والتعليم من أنجح الوسائل المؤثرة في إعداد المتعلم خلقيا وتكوينه نفسيا واجتماعيا، ذلك أنَّ المعلم هو المثل الأعلى في نظر المتعلِّم، والأسرة الصَّالحة

في عينه"[1]، يقول البشير الإبراهيمي واصفا المهمَّة التي على المعلم حملها ليكون خير أسوة لتلاميذه "أخشى أنْ تغيب عن بصائركم حقيقة ثابتة، وهي أنَّكم معلِّمون للصِّغار، وأئمة للكبار، أولئك يأخذون من أخلاقكم وعملكم، وهؤلاء يأخذون من أخلاقكم[2]"، فإذا كان المربي يتمتع بأخلاق حميدة ؛ نشأ المتعلم على الأخلاق الرفيعة، أما إذا كان المربي على أخلاق سيِّئة؛ نشأ المتعلم على تلك الصِّفات، ويصف الله تعالى خلق الرَّسول الأمين – صلى الله عليه وسلم – الذي كان خير مثال على المعلِّم والمرشد الصالح للبشرية، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: 21] فالمعلم الذي يفتقر للقيم والمبادئ ولا يراعي احترام مهنته ولا يعمل بإخلاص لا يصلح أن يكون معلما. ويرى علماء التربية الإسلامية التربويون أن شخصية المعلم لها أثر كبير في نفسية تلاميذهم، فيساهم أيضا في تكوينهم الفكري والعقلي والخلقي، فالتلميذ في المدرسة بحاجة إلى قدوة يراها في معلميه أو مدرسيه ليقتنع حقا بما يتعلمه، ولما كان المعلم محطَّ أنظار المتعلمين ونموذجهم المتبع في سلوكياته وأقواله وأفعاله؛ وجب عليه أن يكون قدوة جميلة لهم، "وإن المعلم لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلاَّ إذا كان هو فاضلا، ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان بنفسه صالحا لأنهم يأخذون عنه بالقدوة أكثر مما يأخذون عنه بالتلقين"[3]، فهو يقوم مقام الأب بالبيت

---

[1]– محمَّد بن إبراهيم الهزاع، صفات المعلم، دار القاسم، المملكة العربية السعودية، ص

[2]– محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار محمَّد البشير الإبراهيمي، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997م، ج3، 268.

[3]– رشيد ناجي الحسن، المعلم القدوة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 581، 2014، ص.

أو يفوقه أثرا وحين يكون المعلم متناقضا بين ما يقوله داخل المدرسة وما يفعله خارجها وكأنَّه لا يدرك ما يقوله فهذا أمر محزن وذنب يرتكبه في حق مجتمعه، ومن روائع العشر ما قاله المتوكل الليثي:

"يـا أيـهـا الـرجـل الـمعلـم غـيـره هـلا لنفسك كـان ذا الـتعليـم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا كيمـا يطـيب بـه وأنـت سـقيـم

وَتَــراكَ تُصـلِـحُ بالـرشــادِ عُـقولَـنا أَبَــداً وَأَنـتَ مِن الرَّشـادِ عَديـمُ

لا تَنــهَ عَــن خُــلُــقٍ وَتــأتيَ مِثلَهُ عــارٌ عَلَيكَ إِذا فــعلتَ عَظيـمُ

فالمفارقة بين النظرية والتطبيق سبب الكثير من مظاهر الانحطاط والتدهور فـ "لا يستطيع أي معلم أن يقف موقفا حياديا من القيم والمبادئ السائدة في مجتمعه فقد ارتبطت الأخلاق بالتعليم برباط لا ينفصم، ومن ثمَّ بإضعاف الحاسة الأخلاقية لدى طلابه وربما دفعهم في طريق الانحراف من حيث لا يدري"[1] يقول الإمام البشير الإبراهيمي في حديثه عن ضرورة اتِّصاف المعلِّم بالصِّفات الحسنة حتَّى يكون خير مرشد لطلابه : "لا يضيركم ضعف حظِّكم من العلم إذا وفر حظكم من الأخلاق الفاضلة، فإنَّ أمتكم في حاجة إلى الأخلاق والفضائل، إن حاجتها إلى الفضائل أشد وأوكد من حاجتها إلى العلم[2]" ومن أهم الصفات التي يجب أن يتميز بها المعلم القدوة هي أن يكون ذا مظهر لائق ولباس نظيف

[1]– عبد الكريم بكار، صفحات في التَّعليم والنهوض بالشَّخصية؛ مكتبة دار السَّلام، مصر، ط1، للنشر والتوزيع والترجمة، 2011م، ص18.

[2]– محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار محمَّد البشير الإبراهيمي، ج3، 268.

حتى يعكس أثرا إيجابيا لدى المتمدرسين ويعزز ذلك عندهم فيحافظوا هم كذلك على نظافتهم الشخصية سواء في المدرسة أو في المنزل، وعليه أيضا أن يكون منضبطا في أداء عمله والالتزام بمواعيده الدراسية، فالمعلم المثالي يلزم بأوقاته بشكل مستمر.

إنَّ كثيرا من الطلاب الذين كانوا ذوي تحصيل دراسي ضعيف تغيروا للأفضل بسبب أثر ودور المعلم القدوة الحسنة عليهم، فإذا سألت نفسك أو أي طالب في المرحلة الجامعية عن أهم شيء طبع مسيرتك التعليمية أو ترك أثره على مستوى تحصيلك الدراسي فتأكد أنك ستسمع اسم معلم أو معلمة وليس كتابا أو محاضرة معينة.

ب- الأمانة: يعظ البشير الإبراهيمي المعلمين بقوله: "إنَّ هذه الحركة العلمية أمانة في أعناقنا جميعا، وعهد إلهي محتّم الوفاء علينا جميعا، فنحن في تحمله وفي وجوب الوفاء به سواسية، ليس صغيرنا بأقل تبعةً ولا أخف حملًا من كبيرنا؛ ونحن في تحمل هذه الأمانة وأدائها أمام ربّ يعلم ما نخفي من النيات وما نعلن من الأعمال، وأمام أمة تعين على الوسائل، وتنتظر النتائج، وتحاسب على ما بينهما، وأمام تاريخ لا يغادر سيئةً ولا حسنةً إلا أحصاها، وأمام خصوم أشداء يحصون الأنفاس ليوقعوا العقوبة ويترقبون العثرة ليعلنوا الشماتة، فلنحاسب أنفسنا قبل أنْ يحاسبنا النَّاس[1]" فالمعلم يحمل على كاهله رسالة سامية عليه أنْ يؤديها على أكمل وجه، حتى يبرئ ذمته أمام رب العالمين، فهو يحمل رسالة كبرى وجزاؤه عنها من الله ومن الأمَّة ومن التاريخ ومن الجيل الذي يقوم

[1]- محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار محمَّد البشير الإبراهيمي ج3، 266.

عليه، فإن أحسن قد أحسن لنفسه وله من الله حسن الجزاء والثناء من التاريخ والأمة، وإن قصَّر فقد أساء لنفسه ولأمته وأضاع الكثير، فمهمَّة المربي أمانة عظيمة جدا، وعمله من أشرف الأعمال إذا عمله بإخلاص، "فعلى المعلم أن يستشعر عظم مسؤوليته وأنه داع من الدعاة شاء أم أبى، داع إلى الخير والفضيلة أو داع إلى الشر والرذيلة، ونعيذه بالله أن يكون من أهل الثانية بل هو إن شاء الله تعالى حامل لواء المسلمين وصانع أمجاد المستقبل القريب"[1]. ونعيذ بالله معلمينا من أن يضيعوا أمانة التعليم التي تتطلب من حاملها الإخلاص في العطاء والتحلي بالوفاء.

ج- الصَّبر: المعلم مثل المزارع الذي يزرع بذرة وينتظر خروجها بكل صبر فيسقيها ويقدم لها وقته واهتمامه حتى تصبح شجرة، ويقول الإمام الإبراهيمي عن المعلمين:" أنتم جنود العلم، ولكلمة "جندي" معنى يبعث الروعة، ويوحي بالاحترام، ويجلب الشَّرف، ويُعلي القيمة، لأنَّه في غاية معناه حارس مُجِدٌّ، وحافظ أمانة، وقيّم أُمَّةٍ لذلك كان من واجبات الجندي الصَّبر على المكاره واللَّزِبات، والثبات في الشَّدائد والأزمات[2]" لذلك على المدرِّس أنْ يتمتع بصدر رحب، وأنْ يكون حليما في تعامله مع طلابه بالرغم من الأخطاء التي يرتكبونها حتَّى يحبب إليهم طلب العلم، ولا ينفرهم منه فمهمة المعلم أنْ يزرع الصَّحراء لا أنْ يقتلع الحشيش، وأمام هذا يتبادر إلى أذهاننا ثقل تلك المسؤولية في نشر

[1]- محمَّد حاج عيسى، أمانة التعليم أساس الإصلاح، موقع عيون نت، 18-10-2018. تاريخ الاطِّلاع: 14-06-2022م، 06:48 مساء.

[2]- محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار محمَّد البشير الإبراهيمي، ج3، 270.

العلم فترة الاحتلال الفرنسي الذي استخدم كل وسائله لمحاربة تعليم اللُّغة العربية، وحارب المعلِّمين من خلال ممارسة الضَّغط على المدارس حتَّى ينقص نشاطها، وهذا ما تنبَّه إليه الإبراهيمي وسدَّ خطره بوصيّته للمعلمين في قوله: "وإنَّما أنتم حرَّاس دروب، ومُرابِطة ثغور، فاصبروا واثبتوا، وقد كفيناكم سداد الرَّأي، فهاتوا سداد الإرادة وسداد العمل[1]". فكان ذلك دافعا إلى تحبيب المهنة؛ وبعث رغبة المعلمين في خدمة المجتمع كما حدث مع معلمي المدارس الحرَّة في الجزائر الذين دفعهم حبُّ وطنهم والرغبة في خدمة مجتمعهم إلى إعطاء الكثير لمهنتهم وأحبوها، وقد يرجع شغف المعلم بعملية التعليم إلى حب مهنته، "إذا لم تكن مستمتعا بما تفعل، فما قيمة فعله؟ وإذا لم يكن هناك جانب للمتعة في عملك فلا جدوى إذن من أدائك له"[2]، إذن فالاستمتاع بالعمل يعطي نتائج أفضل.وكل هذا البطش كان يتطلب من مربي الأجيال الذي كان يقوم بعمله في المدرس الحرة في ظل هذه الظروف العصيبة أن يتسم بصبر كبير للتغلب على مكر العدو. "والمعلم الذي يؤمن برسالة التعليم سيصل بإذن الله عاجلا أم آجلا إلى ما يربو إليه، وسيترك بصمة رائعة في نفوس طلابه"[3] وعلى المدرس أن تكون له القدرة في التحكم بذاته وانفعالاته فيقوم بتشجيع طلابه على النَّجاح حتى لو تعرضوا للفشل.

[1]– محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار محمَّد البشير الإبراهيمي ج3، 266.

[2]– ريتشارد تمبلر، قواعد العمل، ط7، مكتبة جرير، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2012م، ص42.

[3]– بدر الحسين، كيف تكون معلما مؤثرا، ط2، دار الفكر، دمشق، 2012، ص25.

د- **التواضع:** التواضع هو الطَّريقة السديدة للرفعة والعزة، فالمعلم المثالي لا يتباهى بما أنجزه مع طلابه وزملائه، فالتواضع لا يقلل من شأنه بل على العكس تماما يرفع من مقامه فالمتواضع محبوب عند الجميع، ويقول المصطفى – صلى الله عليه وسلم – عن هذه الخصلة الحسنة: "من تواضع لله رفعه" فالمعلم الناجح ليس مغرورا أو متكبرا مهما بلغت سعة علمه ومعارفه، وعن هذا يقول الإمام الإبراهيمي: "ولا يصدَّنَّكم الغرور عن أنْ يستفيد القاصر منكم من الكامل، والكامل ممن هو أكمل منه"، فلا يمنعه الغرور من التَّعلُّم، قال الله عزَّ وجل في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: 85].

1-1-2-صفات المعلم المهنية:

أ- **الثَّقافة الواسعة:** ينبغي للمعلم أنْ يتمتع بالثَّقافة العامَّة في مختلف المجالات المعرفية في تخصُّصه أو في التخصُّصات الأخرى، لأنه قد يتعرض في كثير من الأحيان إلى استفسارات الطَّلبة لذلك كان من الواجب عليه أن يوسع ويجمع المزيد من المعلومات من خلال مطالعته للكتب والموسوعات لذا يحسن أن يكون المعلم قارئا ومحبا للمطالعة. ويقول العلامة الإبراهيمي عن ضرورة تثقيف المدرِّسين: "فإذا رأيتمونا نمسكم بالشدة أحيانا، ونقسوا عليكم في التثقيف، فلذلك لكي يخلص لنا من عشراتكم آحاد يخلفوننا في هذه الخلال إذا خلتْ أمكنتنا في المراكز الأمامية، بعد أن يقطعوا من مراحل العمر ومقامات التدريب ما يؤهلهم لذلك[1]"، فهو يحثُّ المعلمين على الاستفادة من الجديد

[1]- محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار محمَّد البشير الإبراهيمي ج3، 266.

لأنَّه يرى أنَّ التَّعليم هو طريقة للتَّعلُّم كذلك وقال: "فاعرفوا كيف تدخلون من باب التَّعليم إلى العلم، ومن مدخل القراءة إلى الفهم؛ وتوسّعوا في المطالعة يتَّسع الاطِّلاع[1]" لذلك فإنَّ على مربي الأجيال أنْ يكون ملمًّا بالقدر المناسب من ثقافة المجتمع ومطَّلعا على التَّيارات الفكرية المحيطة فيزيد من ثقة طلاَّبه به وينفعهم بما لديه من علم.

ب- العدل: من أهمِّ سمات المعلِّم النَّاجح أنْ يكون عادلا في أداء وظيفته فلا يفرِّق بين طلابه في المعاملة، إذ يحدث في كثير من الأحيان أنَّ الأستاذ يفرِّق بين المتعلِّمين في المعاملة بالنَّظر لنتائجهم، فيبالغ في مدح المُتفوِّقين، فيزرع فيهم الغرور وقد يهمل غيرهم فيدفع إلى الفشل، لذلك قال الإبراهيمي: "ولا تجاوزوا حدًّا إلى حد فتضرُّوا من حيث قصدتم إلى النَّفع، فمدحُ المجتهد من تلامذتكم مُذكٍ للنَّشاط، كما هو مدعاة إلى الغرور، والفصلُ بينهما رهينُ لفظة مدح مقدرة أو مبالغ فيها منكم؛ ولَأَنْ تخمدوا نشاطًا، خيرٌ من أن تُشعلوا غرورًا في نفس التِّلميذ[2]" لذلك على المعلِّم أنْ يكون منصفا، فيشجِّع الرَّاسبين على الاجتهاد، وحين يراه الطُّلاَّب عادلا لن تشتعل بذرة الغرور في نفوس التَّلاميذ المتفوِّقين، وكذلك سيجني محبة المتعلِّمين في الصف بأكمله. "إن التواصل داخل الفصل الدراسي عملية حساسة، وهي تحتاج إلى شعور الطلاب بالثقة والأمان، ولا سيما الخجولين منهم وهذا يتطلب من المعلم الحرص الشديد على عدم احتقار أي

[1]- محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار محمَّد البشير الإبراهيمي ج3، 268.

[2]- محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار محمَّد البشير الإبراهيمي ج3، 266.

طالب، أو توجيه أي ملاحظات تحطُّ من قدر أيِّ أحد"[1] حيث إنَّ العديد من المتمدرسين لا يحظَوْن باهتمام أساتذتهم الذين يركزون اهتمامهم على عدد محدود من الطلبة، وهذا ما يثبط عزيمة هؤلاء الطلاب، فيفقدون الثقة بأنفسهم وبقدراتهم جزاء هذا التَّصرُّف، فعلى المدرِّس أن يشجع جميع طلابه ولا يبالغ في مدح المجتهدين منهم.

ج- سرعة البديهة ودقة الملاحظة: إنَّ نجاح المعلم يتوقَّف بشكل كبير عل مدى سرعة بديهته ودقَّة ملاحظته، فالمعلِّم بحاجة إلى قدرات عقلية خاصة ليتمكن من أداء مهمته فهو بحاجة للذكاء في عمله حتى يتمكن من توصيل المعلومات لطلابه، ويقول الإبراهيمي: "ربوهم على استخدام المواهب الفطرية من عقل وفكر وذهن...ودقة الملاحظة"، وليتمكن المعلم من زرع دقة الملاحظة لابد أن تتوفر فيه هذه الصفة ففاقد الشيء لا يعطيه.

د- الإبداع: ينبغي على المدرس أن يكون مبدعا في عمله، فحتى يكون مبدعا علي أن يمتلك عقلا فضوليا ويسعى لحل الأمور المعقدة بكل الطرق، ويدرك المدرس المبدع نقاط ضعفه لكنه يتفادى الشعور بالإحباط ويبذل قصارى جهده لتجديد معلوماته ليفيد طلابه، لذلك حث الإبراهيمي المعلمين على أن يكونوا مبدعين وألا يستسلموا للإحباط بل عليهم أن يجددوا معارفهم بقوله: "إن التعليم لإحدى طرق العلم للمعلم قبل المتعلم إذا عرف كيف يصرف مواهبه"، لذلك فعلى المعلم أن يستعمل المواهب التي منحها له الله

[1]- عبد الكريم بكار، صفحات في تعليم والنهوض بالشخصية، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2011م، ص39.

تعالى ليكون مبدعا في عمله، وتحدث الإبراهيمي عن المعلمين الذين لم يكملوا مراحل تعليمهم فاضطروا للالتحاق بمهنة التدريس غير مخيرين في ذلك إنما مجبرين نظرا للوضع الذي كانت تعيشه الجزائر آنذاك.

لكن هذا لا يعني أنهم لن يقدموا الأفضل لمهنتهم بل عليهم فقط أن يطلقوا العنان لتصريف مواهبهم وإبداعاتهم وتحصيل المزيد من المعلومات، ومن سمات المدرس المبدع أنه لا يترك مجالا للملل في حصته.

الفَصل الثاني:

ثانيا: المتعلِّم في المدارس العربية الحرَّة

1-2- المتعلِم في مدارس التَّعليم الحرِ خصوصية واقع أم خصوصية متعلِم؟:

يعتبر المتعلم جزء لا يتجزأ من العملية التَّعليمية فهو يتلقَّى معرفة من خلال ذهابه للمدرسة، وعليه بنيت أسس التعليم والتربية إذ هو المقصود بهذه العملية، وقد أعطى الإمام البشير الإبراهيمي اهتماما بالغا للطَّالب المتعلِم، فهو ثروة يجب استغلالها وتوظيفها ازدهار المجتمع وبناء جزائر بعيدة عن التبعية للاحتلال الفرنسي الذي حارب التعليم الحر وزرع الخوف في نفوس الطَّلبة وكذلك المعلِمين، وهذا ما أشار إليه البشير الإبراهيمي حينما قال: "حرام علينا أن نرضى للجيل الآتي بما لم نرض به لأنفسنا، وأن نجرّعهم هذا الحنظل الذي تجرّعناه، وأن نلوّث نفوسهم البريئة بهذه القاذورات، وأن نبتليهم بما ابتلانا به آباؤنا من أدواء التفرّق المهلك، والأنانية الكاذبة، والغرور المدلي، والتنكّر للقريب، والخضوع للغريب، حرام علينا أن نقلِّدهم هذه الأسلحة المسمومة فيتفانون كما تفانينا، ويذوق بعضهم بأس بعض ويشقون جميعا ويسعد بشقائهم الغير، حرام علينا أنْ نسلم إليهم شيئا من هذه التركة التي يجب أنْ تنفق في الجهاز الميت فتدفن معه ويأمن الأحياء شرها إذا لم ينالوا خيرها"[1] تناول الإمام البشير الإبراهيمي الجانب التعيس للمتعلم من بداية مرحلته أي مرحلة الطفولة وجعله من أولوياته المشروعة، لأنَّ هذا الجيل من المتعلمين ضاق ذرعا بالاستعمار الفرنسي، وبما حرمهم من أبسط حقوقهم كذهابهم للمدارس وتلقي المعارف الأساسية، لهذا السَّبب أدرج بن باديس علوم الشَّريعة الإسلامية

[1]- محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص274.

في منهجه من أجل غرس مبادئ الإسلام في نفوس الطُّلاَّب، وجعله مواطنا صالحا غيورا على دينه الحنيف ولغته العربية محافظا عليها من التهميش والتحريف باعتبارهما من أهمِّ مقومَّاتها الشَّخصية الجزائرية. وتلك وجهة اتَّفق فيها الكثير من كبار المصلحين كالإمام محمَّد عبده، وتلميذه الشَّيخ رشيد رضا ومحمَّد إقبال وغيرهم من العلماء الذين أقروا أنَّ التَّعليم والتَّربية سلاحان يتحرَّر بهما المستعمَرُ من المستعمِرِ فكريا فيصعب إذلاله والسَّيطرة عليه.

1-2-1- معضلة انتظام المتعلِّمين باعتبار السِّن: اعتنى أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين بجميع الفئات العمرية للمجتمع الجزائري من صغيرهم إلى كبيرهم سعيا إلى مقاومة سياسة التَّجهيل الذي انتهجها المحتلُّ الفرنسيُّ ضدَّ الشَّعب من خلال تعليمهم، وإخراج كفاءات متمرِّسة قادرة على حمل أمانة نشر رسالة الإصلاح بين الجزائريِّين، فقامت جمعية العلماء بتوجيه كبار السِّنِّ إلى المساجد لمعرفة أمور الدِّين ومبادئه وتعلُّم اللُّغة العربية، فخصَّصت لهم دروسا في الوعظ والإرشاد ومحو الأمِّية وتعليم الأطفال ذكورا وإناثا ابتداء من سنِّ الخامسة في المدارس والكتاتيب القرآنية، وأمَّا الشَّباب فخصِّصت لهم النَّوادي بحكم اهتماماتهم وطبيعة أعمارهم.

اهتمت جمعية العلماء المسلمين منذ نشأتها بإنشاء مقرَّرات دراسية من أجل نشر الإسلام واللغة العربية وتربية الأجيال تربية إسلامية محضة، فوضع أعضاء الجمعية شروطا للالتحاق حتَّى يتفادوا مشكلات الفوارق العمرية بين المتعلِّمين، وما يتركه من

آثار على المردود المعرفي للمتعلِّمين، وهذه أهم النقاط التي تضمنتها اللائحة الداخلية لهذه المدارس في المادة السَّابعة من القانون العام وهي:

- قبول التَّلاميذ يكون ابتداء من سن السَّادسة ولا يزيد عن الحادية عشر. وتستمرُّ مدة التَّعليم إلى سنِّ الخامسة عشرة. وبذلك نجحت جمعية العلماء المسلمين في احتواء المتعلِّمين حسب أعمارهم، وهذه من أعظم إنجازات التي قامت بها هذه الجمعية التَّطوُّعية في سبيل نشر العلم ومحاربة الجهل والأمية.

1-2-2- إشراك الجنسين في مدارس التَّعليم الحرِّ:

1-2-2-1- تعليم النِّساء: لم تقتصر اهتمامات الجمعية على تعليم الذكور فقط بل وسعت دائرتها لتعليم المرأة إيمانا منها بأنَّها الركيزة الأساسية في محيطها الاجتماعي والأسري، فالطِّفل يتلقى مبادئ التَّعليم الأولى من أمه، وأدرج العلاَّمة ابن باديس تعليم المرأة الجزائرية ضمن مشروع التعليم العربي، ومن زاوية الدِّين الإسلامي "ومن الملفت للنَّظر أنَّ العلماء افتتحوا أول مدرسة للبنات... ممَّا يدل على سعة أفقهم فيما يتصل بتعليم المرأة، ومن مبادرات ابن باديس تشجيع المرأة على طلب العلم وإقرار مجانية التعليم للبنات"[1] فكان من مشجِّعي تعليم المرأة في إطار الضَّوابط الشرعية التي سنَّها الإسلام بحيث "لا يجعل منها نصف رجل و نصف امرأة"[2] كما يقول، ثمَّ يشرح الطَّريق المؤدِّي

[1]- رابح التركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية في الجزائر المعاصرة، موضم للنشر، الجزائر، 2003م، ص330.

[2]- رابح التركي، نفس المرجع، ص330.

إليه فيقول: "والطَّريق إلى هذا هو التَّعليم: تعليم البنات تعليما يناسب خلقتهن ودينهن وقوميتهن، فالجاهلة التي تلد أبناء للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا خير من العالمة التي تلد لجزائر أبناء لا يعرفونها"[1] ومن مظاهر حرص الإمام عبد الحميد بن باديس على تعليم البنت خاصة، أن وضع قانونا أساسيا يكفل حقوقها كمجانية تعليم لها سواء كانت قادرة على دفع المصاريف أم لا، تشجيعا لهنَّ على مزاولة الدِّراسة بكل أريحية، كما خصَّص دروسا تلقى للنِّساء في المسجد الأخضر، فكن يحضُرنَ بأعداد كبيرة حتَّى ضاقت بهنَّ المساجد المخصَّصة لهنَّ.وهو في ذلك كلِّه يرفع شعارا مفاده: "إذا أردتم إصلاحها الحقيقيَّ، فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها، قبل أنْ ترفعوا الحجاب الشَّرعي عن وجهها فإنَّ حجاب الجهل هو الذي أخَّرها وظلمها"[2].

1-2-2-2- تعليم الذُّكور؛ الاستراتيجية والهدف:

اهتمت جمعية العلماء المسلمين بتدريس الذُّكور منذ الطفولة، فوضعت شروط للالتحاق بمدارسها وهي "يشترط في كلِّ تلميذ أنْ يكون حافظا للقرآن العظيم أو لبعضه كربعه على الأقل، وأنْ لا يتجاوز سنُّه- إذا كان مبتدئا لم تتقدَّم له القراءة- خمسا وعشرين سنة، وأنْ يأتي- إذا كان جديدا بكتاب من كبير بيته أو عشيرته للتَّعريف به وينبغي للطَّالب أنْ يأتي معه بفرشه وغطائه"[3] إضافة إلى ذلك راعى ابن باديس طلابه

---

[1]- رابح التركي، نفس المرجع، ص330.

[2]- إيمان محمَّد نونو، دور زعماء الإصلاح تجاه المرأة في الجزائر في العصر الحديث، دورية كان التاريخية، العدد 12، 4 يونيو 2011، ص 98-100.

[3]- جريدة "الصِّراط"، السنة الأولى، العدد 4، 9 أكتوبر سنة 1933.

الفقراء بتوفير المسكن والمأكل لهم من خلال تبرعات المحسنين ولهذا الغرض خصَّص صندوقا أطلق عليه تسمية "صندوق الطَّلبة" الذي يموِّله الشَّعب سنويا الذي يغار على موطنه ولغته وديانته

1-2-3- المتعلِّم الجزائريُّ بين مدرستين ولغتين:

أحدث التَّعليم العربيُّ الحرُّ في الجزائر واقعا تعليميا مختلفا، فهناك التَّعليم الفرنسي القائم منذ عقود، وهناك تعليم مختلط وهناك تعليم عربي حرٌّ، وهو واقع أخرج طلاَّبا متعلمين منتسبين لكلِّ نوع، فنجد التَّعليم الفرنسي الموجَّه بشكل خاصٍ للجزائريّين (المدرسة الأهلية) وتُدرَّس فيه اللُّغة العربية كلهجة عامية، ومن سلبيات هذا التَّعليم -بالإضافة إلى ما يحتويه من سموم لغوية وفكرية- أنَّه لم يستوعب كلَّ الأطفال، فهو ليس إجباريا بعكس التَّعليم الموجَّه لأبناء الفرنسيين، وهناك تعليم فرنسيٌّ إسلامي أو ما يعرف باسم [الفرنكو- ميزولمان] وقد عرف ازدهارا أراد منه الاحتلال صناعة نخبة حسب المقاس أمَّا التَّعليم العربي ليس تابعا للحكومة الفرنسية فكان تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين وأحيانا حزب الشَّعب[1].

فالطلبة الذين كانوا يدرسون في المدارس التابعة لجمعية العلماء كان لهم الحظ الوفير من تلقي معارفهم الدينية واللغوية من العلماء مباشرة فجاهدوا في سبيل ذلك بترسيخ العقيدة الصحيحة والفطرة السليمة في عقولهم وإحياء حب الوطن في قلوبهم وصدِّ كل

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ج10، ص259-260.

مخطَّطات الاستعمار الفرنسي الذي حاول طمس مقومات الشخصية والهوية الجزائرية وما هي إلا سنوات حتَّ أصبحت الجمعية تنظِّم البعثات الطُّلاَّبية خارج الجزائر لإكمال دراستهم، وكان تونس وجهة غالبية الطلبة الجزائريين، حيث تلقوا العلوم في جامع الزَّيتونة حتَّى قُدِّر عددهم بحوالي 400 طالب، بينما التحق بالأزهر نحو 150 طالبا، بينما قصد القرويّين نحو 186 وحوالي 50 في مدينة مكناس بين 1960-1961[1] وذلك ما يعكس التفات النشاط التَّعليمي حسب هذا التَّوزيع الطلابي باتِّجاه المشرق وضآلته في المغرب وذلك بسبب انتعاش الحركة العلمية في كلٍّ من مصر وتونس.

[1]- عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريّين إبان حرب التحرير 1954م، ط5، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 2012.

الفَصل الثالث:

ثالثا: مناهج التَّعليم في المدارس الحرّة، والرُّؤية الإبراهيمية

1-3- المنهاج التَّربوي والتَّعليمي عند الإبراهيمي:

1-3-1- في تعريف المنهج: تستخدم كلمة المنهج أو المنهاج عند العرب بمعنى الطَّريق الواضح حيث جاء في المعجم الوسيط: نهج الطريق نهجا ونهوجا: وضح واستبان، وانتهج الطريق: سلكه. ومنه جاء منهاج التعليم بمعنى الطريق والخطوات التعليمية هي الإطار المرجعي وهي أهم مكونات النظام التربوي لأي مجتمع، فهو يمثل الوسيلة التي تتكئ عليها الأمم والمجتمعات للوصول إلى غاياتها. والمنهج عبارة عن خطة تتم من خلالها تزويد المتعلم بمجموعة من الفرص التعليمية التي تسعى لتحقيق أهداف معينة. "المنهج هو عبارة عن قواعد تفرض على الفكر دون أن تؤثر سلبيا على جوهره، هو خطوات تسمح للنظرية بمواجهة الواقع، هو طريقة في التفكير، رابط يربط الفكر بالواقع من أجل إبراز الحقيقة"[1].

أراد الشَّيخ الإبراهيمي تأسيس منهج تربويٍّ يربط الفرد الجزائري بمقومات شخصيته الوطنية، من خلال تحديده لمفهومَيْ التربية والتعليم، فقد اعتبرهما المنطلق الأساسي في الحفاظ على الهوية الوطنية وتحقيق الاستقلال معتمدا على عدة أسس كالتوعية والتنوير مستعملا في ذلك وسائل تتلاءم مع خصوصية الواقع والظَّرف كالمدارس والمساجد، وقد تضمن منهجه التَّربوي انتقادا الطَّرائق القديمة في التعليم العربي، وكان هادفا لإدراك غايات أهمُّها تحرير الجزائر.

[1]- حنان قصبي ومحمَّد الهلالي، في المنهج، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2015م، ص6.

كما طالب العلامة الإبراهيمي بتوحيد المنهاج في قوله: "لا يتم هذا على وجهه المثمر إلاَّ بتوحيد منهاج التَّربية وبرنامج التعليم، ولا يتم توحيد المنهاج والبرنامج إلا بتوحيد الإدارة، ولا يتم توحيد الإدارة إلاَّ بتوحيد الإشراف العام[1]"، إذ لا تكتمل صورة المنهاج الذي اعتمده الإبراهيمي إلا بتوحيد منهاج التربية، هذه الأمور التي دفعته إلى جمع المدارس العربية تحت لواء واحد لأنَّه عرف بأنَّ توحيد المقاصد المرجوة والأهداف لا يأتي إلاَّ بتوحيد الوسائل، حيث كان المبتغى الرَّئيسي لجمعية العلماء المسلمين برئاسة الإبراهيمي هي تكوين جيل راشد من خلال توحيد المناهج الدِّراسية، فقد "انطلق الإبراهيمي من إيمانه الراسخ في أنَّ المتعلِّم أو المعلِّم لا يمكنه أنْ يُحدِث الفارق في مجتمعه، ولا يزيد في صلاحه أو تحريره من الجهل والاستعمار، ما لم يتشرَّب من الإسلام ما يكفيه شر العدو، ومن العربية ما يعينه على حفظ تراثه وتاريخه"[2]. ونظرا لما اقترفه المستعمر في الجزائر من تجهيل الشعب وتشريده في الجبال وفرض اللغة والثقافة الفرنسية كلغة أساسية للتعليم في المدارس، كان من الضَّروري أنْ تتبنى منظومة التَّعليم العربي الحر في الجزائر سياسة تتماشى مع الدِّين الإسلامي وثقافة المجتمع الجزائري وتقاليده.

1-3-2- المواد المقرَّرة: يرى الإمام البشير الإبراهيمي أنَّ المنهاج الدِّراسي لابدَّ أنْ يتمَّ الاعتماد فيه على اللُّغة العربية "اللُّغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثم فهي

[1]- محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص275.

[2]- حسين ولهة، نحو فهم أعمق للأسس التَّعليمية عند البشير الإبراهيمي، مجلّة الممارسات اللّغوية، جامعة تيزي وزو، ع15، 2012م، ص196.

لغة المسلمين الدينية الرسمية، ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان، كل منهما يقتضي وجوب تعلمها، فكيف إذا اجتمعا، حق من حيث أنها لغة دين الأمة بحكم أن الأمة مسلمة، وحق من حيث أنها لغة جنسها، بحكم أنَّ الأُمَّة عربية الجنس[1]" والحفاظ على العربية محافظة على الدِّين والجنسية معا. ويظهر الإبراهيمي متشبثا كل التَّشبُّث بالعروبة في مشروعه الإصلاحي والتَّربوي، فـ "يركز الإمام في كتاباته ومحاضراته كثيرا على العروبة واللُّغة العربية وذلك لعدة أسباب منها: أنَّ العرب من أعرق الأمم في التاريخ، وأنهم من أكثرها محافظة على الفطرة الإنسانية، يشيع ذلك في أمثالهم، وأخلاقهم وآدابهم، ولأنَّ الله أكرمهم باختيار آخر أنبيائه وخاتم رسله منهم، ولأنَّ فرنسا عملت طيلة وجودها بالجزائر على تحقير العروبة"[2] ومن هنا كان تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية يقوم على المبادئ العربية الأولى وعلوم الدين وعلوم الحياة العامة على أحسن منهاج وأقوى نظام، أما في المعهد الثانوي فكانوا يدرسون علوم اللُّغة وعلوم الدين والتاريخ الإسلامي والرياضيات وعلوم الحياة على المناهج الثانوية الواسعة.

ويرى الإبراهيمي أنَّ تعليم الطُّلاَّب لا يجب أنْ يقتصر فقط على القواعد في قوله: "امزجوا لهم العلم بالحياة، والحياة بالعلم يأت التَّركيب بعجيبه، ولا تعمروا أوقاتهم كلَّها بالقواعد، فإنَّ العكوف على القواعد هو الذي صيَّر علماءنا مثل "القواعد" وإنَّما القواعد

[1]– محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار محمَّد البشير الإبراهيمي ج3، ص48.

[2]– محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي، ج1، ص20–21.

أساس، وإذا أنفقت الأعمار في القواعد فمتى يتم البناء؟[1]" فاللغة ليست مجرد قواعد للحفظ بل إنَّ تكثيف القراءة أمر ضروري، فالقراءة الجهرية أمام الطلبة تمرين تطبيقيٌّ لغوي يساعد على اكتساب اللُّغة، حيث أننا لا نلجأ لاستخدام تلك القواعد في حياتنا اليومية لإجادة اللُّغة بطريقة سليمة.

ويوضح الإمام ابن باديس محتوى المواد الدراسية بقوله: "تشتمل الدُّروس على التَّفسير للكتاب الحكيم وتجويده، وعلى الحديث الشَّريف، وعلى الفقه في المختصر وغيره، وعلى العقائد الدِّينية وعلى الآداب والأخلاق الإسلامية وعلى العربية بفنونها كالمنطق والحساب وغيرهما"[2]. وكان ابن باديس واقعيا في وضعه للمناهج، يراعي متطلَّبات مجتمعه فأعطى الأولوية للفهم أكثر من شحن المعلومات في الذَّاكرة، وقد تأثَّر في ذلك بالطريقة الأندلسية في التدريس، وهو يوافق بذلك البشير الإبراهيمي الذي قال بشأن هذا الموضوع: "كانت الطَّريقة التي اتَّفقنا عليها في تربية النَّشء هي: ألاَّ نتوسَّع له في العلم، وإنَّما نربّيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل[3]" فكان التَّعليم الحرُّ يركز على الكيف وليس على الكمِّ فيهمُّه جودة التَّعليم واستيعاب الطُّلاَّب وليس غزارة المادة التَّعليمية. وقد اعتمد ابن باديس طرقا تعليمية تستند على الحوار المنطقي والتشويق والفهم، وكان يطرح على طلابه الأسئلة ويرسخ فيهم ملكة الحوار والانتباه والتَّركيز الدَّائم ويحفزهم على التَّحليل والمناقشة

[1]– محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص272.

[2]– سليمان مداح، إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجال التربية والتعليم، مجلة روافد، عدد خاص، 2022، ص47.

[3]– محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي، ج3، ص275.

ويشير التَّربويون إلى أنَّ التَّعليم الفعَّال يستوجب متعلِّما لديه استعدادا لاكتساب مادَّة علمية تتناسب مع قدراته العقلية والنفسية والتربوية.

1-3-3- الكتب المدرسية: كانت الكتب التي اعتمد عليها العلماء في التَّعليم الحر تتسم بالتَّجديد فكانت بعيدة كلَّ البعد عن التَّقليد والجمود، ولم يقتصر تعليمهم في اللُّغة العربية وأمور الدِّين فحسب بل رحبوا بتعليم مختلف العلوم واللُّغات، وقد عملوا على توحيد برامج التَّعليم، وفي سنة 1937م عقدت جمعية العلماء المسلمين مؤتمرا وطنيا عاما بنادي التَّرقِّي بالعاصمة وهو "مؤتمر المعلمين الأحرار" وكانت الجمعية تنتقي لبرامجها وتعليمها الكتب الدِّراسية انتقاء دقيقا، حيث كانت تختار ما هو مفيد وتتفادى الكتب الجامدة التي لا تعطي نشاطا لدارسها، وتقدِّم كتبا سهلة وحيَّة للمطالعة، وكانت العلوم التي تدرس في مساجد ومدارس الجمعية هي: التَّفسير، الحديث، الفقه، العقائد، المواعظ، التجويد، الأصول، المنطق، البلاغة، محفوظات، مطالعات، دراسة الإنشاء، الحساب، التاريخ والجغرافيا، واللُّغة العربية التي لقيت اهتماما خاصًّا في المقررات الدراسية باعتبار أنَّ أعظم مساعي الجمعية هو إحياء هذه اللغة، وحثَّ الشَّيخ الإبراهيمي على تأليف الكتب المدرسية لمتعلِّمي المدارس الابتدائية، نظرا لتعذُّر جلبها من مصر لعدة أسباب فقال: "يسرُّنا من أبنائنا المعلمين في هذه المدارس أنْ يشاركونا في تخفيف هذا العبء، وفي سدِّ جانب من هذا النَّقص، وأنْ يقوموا باستغلال تجاربهم الخاصَّة في

التعليم وجهودهم المفيدة فيه فيخرجوها كتبا مدرسية، بعد أن كانت تلقينا[1]" كما كان يشجّع على ضرورة الإتقان فيقول: "والكتاب محاولة أولى، نرجو أنْ تكون مشجِّعة للمؤلِّفين ولإخوانهم المعلِّمين بمدارس جمعية العلماء على متابعة التَّأليف المدرسي، ومراعاة الإتقان فيه وبنائه على التَّجارب من جهتهم، والاستعدادات من جهة تلامذتكم، فنكون قد استفدنا فائدتين: التحقيق لتوحيد التَّعليم كما نرجو ونعمل له، والاستغناء عن كثير مما نحتاج إليه فلا نجده[2]". وتستمد المناهج الدراسية للتَّربية أهدافها من عناصر ثلاثة وهي: القيم الإنسانية الأصلية، وثقافة المجتمع وعقائده وتقاليده وتحاول تحقيق هذه الأهداف في شخصية الطلاب المتمدرسين لتصنع منهم أفرادا متميزين يتسمون بأنبل الصفات الإنسانية، وثانيا فإنَّ المجتمع بحاجة ماسَّة إلى تحسينه وترقيته وتطوره، إذ "يجب أنْ يشتمل على ما هو أساسي بالنسبة للموضوع الذي يعالجه، كما يجب أنْ يساهم في تربية التلميذ وتعليمه، ويجب أنْ يساعد التلاميذ على فهم العالم من حولهم، ويعدهم للحياة العملية"[3] ولا نجد ذلك بعيدا عما أسفرت عنه البحوث والدراسات التَّعليمية في العصر الحديث، فتنطلق من المتعلِّم يعيش "في مجتمع يؤثر فيه، ويتأثر به، وهو عندما يذهب إلى المدرسة يأتي من بيئة بها ظواهر متعددة ومشكلات مختلفة تحيط بها، وهو يسعى جاهدا للتَّعرُّف على هذه الظَّواهر والمشكلات وتفسيرها وإيجاد حلول لها، ولذلك فإنَّه عند

[1]– محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي، ج2، ص338.

[2]– محمَّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي، ج2، ص338.

[3]– أحمد أنور عمر، الكتاب المدرسي، د.ط، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص36.

اختيار المحتوى ينبغي أنْ نختار من المعارف ما هو أساسيٌّ في حياة المتعلِّمين، وما هو لازم لحاضرهم ومستقبلهم"[1] فمحتوى الكتاب المدرسي لابدَّ أنْ يكون له تأثير إيجابي في فهم التِّلميذ لواقعه الاجتماعيّ والمساهمة في تطويره. ف "التَّربية والتَّعليم نشاطٌ توفِّره الدولة من أجل رفع قدرات النَّاس، ومن أجل تثقيفهم وتنويرهم، فيصبح الفرد إنسانا مثقفا ومتحضرا"[2].

1-3-4- التَّوقيت: تميَّز الإمام عبد الحميد بن باديس بشخصية صارمة وقوية وعرف بصبر عظيم، فكرَّس حياته في التعليم والإصلاح، فكان يشرع في عمله قبيل صلاة الفجر بالمرور على مساكن الطُّلاَّب لإيقاظهم للصَّلاة، ويقدم لهم دروسا في مادَّتَي التَّاريخ والجغرافيا قبل الفجر مرَّة في الأسبوع في الطَّابق العلوي للمسجد وكان ذلك سرا لأنَّ هاتين المادَّتين ممنوعتان على الجزائريّين، وبعد صلاة الفجر يبدأ في التَّدريس إلى شروق الشَّمس، ويواصل تدريسه إلى صلاة الظهر، وبعدها يلقي درسا في شرح الموطَّأ وبين العصر والعشاء يمضيه في إلقاء الدُّروس أو في مكتبة (إدارة الشِّهاب) ليتفرَّغ لتحرير المقالات الصُّحفية، وبعد العشاء يقدِّم درسه في التفسير للطَّلبة والعامَّة، وكان يلقي درسا كلَّ أسبوع بعد العصر للنِّساء[3].

---

[1]- د. صلاح عبد الحميد مصطفى، المناهج الدراسية عناصرها وأسسها وتطبيقاتها، د.ط، دار المزيخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000م، ص40.

[2]- كوثر حسين كوجك، اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التدريس، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2001م، ص83.

[3]- ينظر: سليمان مداح، إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، روافد الجزائريين، عدد خاص، د.ت، ص46-47، بتصرف.

كما اهتم الإمام بن باديس بالشباب لأنَّهم مستقبل الأمَّة فدعاهم لتأسيس فرع ينهض بالجمعية نهضة صادقة حيث منحهم الحقَّ أنْ يأخذوا نصيبهم من التربية والتعليم، على حسب ما يتماشى مع ذهنياتهم فأسَّس لهم درسا يوم الأحد من كِل أسبوع يلقي على جماعة منهم من السَّاعة العاشرة صباحا وعلى جماعة أخرى على السَّاعة الثَّامنة ليلا.

1-3-5- العطل: تعدُّ العطل من الحقوق الأساسية التي يمتلكها الطُّلاَّب، بعد أشهر من الكدِّ والجدِّ في الدِّراسة، فكانوا بحاجة إلى قسطٍ من الرَّاحة يجدِّدون بعدها نشاطهم فإنَّ الخبراء الذين وضعوا العطل الأسبوعية والفصلية والسَّنوية نظروا إلى أثرها الإيجابي في تجديد نشاط التلاميذ.

أمَّا المنهجية التي اعتمدها أعضاء جمعية العلماء المسلمين بخصوص العطل فهناك عطلٌ تتعلَّق بالمناسبات الدِّينية وهناك التي تتعلق بالمناسبات الوطنية، فيمنح التلاميذ إجازة بمناسبة عيد الفطر أو عيد الأضحى أو بمناسبة المولد النَّبوي الشريف، لتعزيز الرُّوح الوطنية والدِّينية بداخلهم، وليعرفوا أنَّ هذه المناسبات تخصُّهم كمسلمين جزائريّين.

1-3-6- التَّفتيش التَّربوي: وكان من نتائج اللَّجنة العليا للتعليم أنْ سعت إلى تكوين لجنة تعنى بالإشراف التَّربوي في مدارس جمعية العلماء المسلمين، حيث نظَّمت تفتيشا عاما وصارما موزَّعا على جميع أقطار الوطن، فبعد أنْ كثرت المدارس نظَّمت الجمعية التفتيش الجهوي وأوكلت تنفيذه إلى كبار المديرين الجهويّين الأكْفاء، فكان التَّفتيش التربوي

موازيا لعمل اللَّجنة العليا للتَّعليم، ومراقبا لمستوى التَّعليم في شتَّى محطَّاته وفئاته، مما زاد في إنجاحه.

1-3-7- التَّمويل: مارست السلطات الفرنسية تضييقها على المدارس الحرة الجزائرية واستولت على الخزينة العمومية فقامت بقطع الإمدادات المادية عنها، فأثَّر ذلك على ممارسة نشاطها ومسارها في بناء المؤسسات التَّعليمية وتسديد أجور المعلمين لكن أعضاء الجمعية وجدوا البديل بالاعتماد على تبرُّعات الشعب في منح أجور المعلمين فساهم الشعب في بناء المدارس والمسكان للطلبة والمعلمين، ولم يتقاعس المواطنون في تلبية هذا النّداء الذي نشر في صفحات "البصائر" وقُدِّرت تبرُّعاتهم في سنة 1934م حوالي 14.788.00 فرنك فرنسي، وقُدِّرت المصاريف التي صُرفت على الطَّلبة في السَّنة نفسها بـ 27.673.75 وبذلك بقي صندوق عاجزا بـ 12.885.75 [1]، ودعا ابن باديس إلى ضرورة سدِّه حتَّى لا تتأثَّر حياة التَّلاميذ من ناحية السَّكن والغذاء، كما اعتنى ابن باديس بالصِّحة البدنية لطلاَّبه من خلال العناية بغذائهم لأنَّ صحَّة الجسد تقوم على الغذاء الجيِّد والهواء النَّقي، إضافة إلى ما ذكرناه شملت عناية ابن باديس الجانب الصِّحِّي لطلابه فاتفق مع مجموعة من الأطباء الجزائريّين على التكفل بعلاجهم والإشراف عليهم طبيا أمثال "ابن جلول وابن الموفق والطَّبيب زرقين المختصّ في علاج الأسنان"[2].

[1]- ينظر: عبد الحميد بن باديس، الدروس العلمية بالجامع الأخضر بقسنطينة، الشّهاب، ج8، م10، غرة ربيع الثاني 1353هـ- 13جويلية 1934م، ص392- 407.

[2]- عبد الحميد بن باديس، الدُّروس العلمية بالجامع الأخضر بقسنطينة، الشّهاب، ج8، م10، ص392- 407.

الفَصل الرَّابع:

رابعا: وسائل التَّعليم العربي الحرِّ؛ بين الحاجة والتَّحدِّي

1-4- الوسائل:

عند دخول الاستعمار الفرنسي الأراضي الجزائرية حاول قدر المستطاع القضاء على الشَّعب والدِّين واللُّغة فانتهج سياسة الإبادة الجماعية على السُّكَّان الأصليِّين للجزائر وبالغ في محاربة الإسلام من خلال تحويل المساجد إلى كنائس ومستودعات لعتاده وخيوله، وعمدت إلى تهميش اللُّغة العربية في مشاهد مستعجلة ذات نتائج سريعة من خلال نشر اللُّغة الفرنسية وجعلها اللُّغة الرَّسمية للجزائر كفرنسة أسماء أحياء في الجزائر العاصمة "لافيجري، بلفور" وحاربت المؤسَّسات التَّعليمية وخطَّطت لتدميرها وفرنسة الأجيال القادمة في مدى متوسط وطويل، فأصدرت مواد وقوانين لتضييق الخناق على هذه المدارس للقضاء على التَّعليم العربي الذي كان يتميز بطابع لغويٍّ ودينيٍّ مموَّل ماديا من طرف الشَّعب، فكان يمتلك معاهد ومؤسَّسات تابعة له، وخُصِّص من أجل مزاولة الدِّراسة نذكر منها:

1- الكتاتيب القرآنية؛

2- المدارس؛

3- الزَّوايا؛

4- المساجد؛

5- النَّوادي.

1-4-1- الكتاتيب القرآنية: وهي من أقدم معاهد التَّربية في الإسلام، إذ كان الأطفال يتعلَّمون فيها مبادئ الكتابة والقراءة، وكانت منتشرة على كلِّ التُّراب الوطني فلها الفضل الكبير في المحافظة على الإسلام والعربية من الاختفاء والزوال بعدما فعله الاحتلال الفرنسي من تهميش القومية والتعليم العربي الإسلامي، و "كان عملها لا يقتصر إلاَّ في تحفيظ القرآن الكريم لكي لا نمزج ذلك بتعليم آخر كالفقه والتفسير والحديث وغيرها من علوم الشريعة الإسلامية"[1].

ويعتمد نظام التدريس في هذه الكتاتيب على الأدوات البسيطة كالألواح الخشبية لكتابة القرآن إملاء من المعلم، وحصير يجلس عليه المتعلِّمون الصِّغار ثم يقرأونها ويحفظونها عن ظهر قلب، فإذا انتهوا من هذه المهمَّة يطلب منهم المعلم محوها ويستمرُّون على هذه الطَّريقة حتى يكملوا حفظ كتاب الله مهما طال الزَّمن. وبعد الانتهاء من هذه المرحلة ينتقل الطلاب إلى الزَّوايا والمساجد من أجل تعلُّم اللُّغة العربية وعلومها المنتشرة عبر القطر الوطني، مثل: تلمسان، قسنطينة ومنطقة زواوة.

1-4-2- المدارس: وهي الصَّرح المشيَّد الذي يتعلَّم فيها الطَّلبة ويأخذون الدُّروس في مختلف العلوم ولها 3 مراحل؛ الابتدائية، المتوسطة والثانوية، تنقسم إلى مدارس عامة ومدارس خاصة. ولمَّ تقرَّر الشُّروع في مشروع التعليم الحر في الجزائر دعا الشَّيخ الإبراهيمي الشَّباب الجزائريَّ إلى التَّحرُّر من سلطة التَّعليم بتشييد مؤسسات تعليمية

[1]- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بتصرف.

لتحرير الشَّعب من الجهل الذي فرض عليه، فالاحتلال دمَّر المنشآت التَّعليمية والثَّقافية ممَّا قلَّص عددها فجعل الأمر مستعصيا بالنسبة لأعضاء الجمعية في إيجاد أماكن ليدرس فيها طلبتهم، فاعتمدوا في البداية على الدَّكاكين والمنازل لمزاولة التَّدريس والوعظ ولم تتوفَّر على أدنى الشُّروط المناسبة للدِّراسة، كعدم تهوية الحجرات وعدم استيعابها العدد الكافي من الطَّلبة، وسرعان ما تجاوز القائمون على التعليم الحرِّ سوء المرحلة الأولى، فيما يتعلَّق بالمدارس، فـ "انتشرت في مختلف أنحاء الجزائر، فقد بلغ ما فتح الإصلاحيون منها – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حتَّى 1954م حوالي 150 مدرسة موزَّعة على مختلف أنحاء الجزائر"[1].

وقد انفردت هذه المدارس بزخارف آية في الجمال، وتميَّزت عن غيرها من المدارس الأوروبية، ومن أهمها تلك التي كان يتمُّ فيها التَّعليم على الطَّريقة العصرية الحديثة الموجودة في العاصمة مدرسة الشبيبة الإسلامية ويشرف عليها الإمام الطَّيب العقبي من روادها عبد الرَّحمان الجيلالي: محمد آل عبد الخليفة، امتلكت 8 أقسام وبلغ عدد المنتسبين إليها حوالي 700 طالب وطالبة سنة 1934م. وأنشئت في قسنطينة مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة سنة 1936م، وكان في البداية منزلا فأدخلت عليها إصلاحات ليصبح أوَّل مدرسة مرخَّصة في قسنطينة، وبلغ عدد الدَّارسين فيها 600 طالب من الذُّكور والإناث، ولها عدة فروع، كفرع أولاد براهم، فرع الشَّباب طريق ميلة،

[1]– فهمي توفيق المقبل، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، مجلة الدرعية، ع20، 2002م، ص257.

فرع البارود، فرع سيدي مبروك. ومنها مدرسة دار الحديث بتلمسان، ودُشنت في صيف 1937م، وهي من تصميم البشير الإبراهيمي، وكان التَّعليم فيها موجها للإناث والذُّكور، وتميَّزت هذه المدرسة بطراز معماريٍّ فريد، هدفها إحياء لغة القرآن ورفع شأنها وترسيخ حب الوطن فيهم.

يتحدَّث الإبراهيمي عن بدايات هذه الخطوة المباركة للصحوة الإسلامية الجزائرية قائلا: "إن إسلام الجزائري 1339هـ/1920م موزَّعا على منهجَيْن نهج الزَّوايا المنتشرة في الرِّيف بشكلٍ خاصّ، ونهج العلماء من المدن وأرادوا التَّركيز على تعليم الجماهير مستندين على سلاحَيْن أساسَيْن هما الصِّحافة والمدرسة"[1]، أي أنَّ المدرسة كانت سلاحا حاربت به الجمعية الاحتلال الفرنسي الغاشم.

1-4-3- المساجد: اعتمدت إحدى مؤسَّسات التَّعليم العربي الحرِّ في الجزائر المحتلَّة، فكان من أهمِّ مرافقه، وقد سهر القائمون على هذا التعليم على إحيائه وإحداث ثورة في نظامه بنقله من صورته التَّقليدية إلى صورة حديثة فأصبح مركزا للتعليم، وفي هذا الصدد يقول الشَّيخ عبد الحميد بن باديس: "...المسجد والتَّعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام... فارتبط المسجد بالتَّعلُّم كارتباطه بالصَّلاة فكما لا مسجد دون صلاة كذلك لا مسجد دون تعليم، وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة فلا مسجد

[1]- فهمي توفيق المقبل، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، مجلة الدرعية، ع20، 2002م، ص256.

بدون تعليم..."[1]، ومن العلوم التي كانت تدرَّس في مساجد الجمعية نذكر: تعليم القرآن ، الفقه والحديث النَّبوي الشَّريف وغيرها، كانت هذه الدروس تنقسم إلى نوعين؛ الأوَّل دروس منظمة في قسنطينة، سطيف وغيرها يتعلَّم فيها الطَّلبة الكبار على طريقة وأسلوب الجوامع الكبيرة مثل الجامع الأزهر والجامع القرويّين...الخ، أمَّا النَّوع الثَّاني فتمثَّل في دروس الوعظ والإرشاد، وكانت موجَّهة لعامَّة النَّاس، ومن أهمِّ المساجد التي ساهمت في التَّعليم الدِّيني والعربي الحرِّ الجامع الأخضر بقسنطينة وهو أحد ثلاث جوامع باقية بعد الاحتلال الفرنسي بقسنطينة، اقتصرت دروسه على تفسير القرآن وترتيله، الحديث الشريف، العربية وعلومها مختلفة من نحو وصرف، ودراسة المنطق والحساب والتَّاريخ والجغرافيا...إلخ، ومنها مسجد الحناية بسطيف، وافتتح في 1931/10/20م، تولَّى القائمون عليه محاربة الآفات الاجتماعية التي انتشرت بالمنطقة، وتقوية العقيدة الصَّحيحة لدى الأهالي وحثِّهم على التَّعليم الكتابة والقراءة، وحضر افتتاحه البشير الإبراهيمي وألقى خطابا ذكر فيه وجوب "تعمير هذا الفراغ الغربي بعدّة مدارس قرآنية يُعلَّم فيها كتاب الله للبنين والبنات، وتعلّم فيها مبادئ العلوم العربية والدِّينية بصورة عملية مفيدة، وتخصَّص قاعة لمكتبة عمومية ستكون تابعة للجامع ومنسوبة إليه ومكمِّلة له"[2]. ومنها جامع سيدي قمّوش ويقع في إحدى زقاقات مدينة قسنطينة، صادره الاحتلال

[1]– عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، الطباعة الشعبية، الجزائر، 2007م، ص94.

[2]– البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص91-93.

الفرنسي الغاشم، فلمَّا رُمِّم أنشئت به بيوت للطَّلبة، وأصبح تابعا للمسجد الأخضر، ومنها جامع سيدي بومعزة بقسنطينة أيضا وكان مركز المكتب الابتدائي العربي، ثمَّ صار فرعا تابعا للجامع الأخضر، ومنها **جامع** سيدي عبد المؤمن، أحد أقدم المساجد المخصَّصة للأطفال، يقع بحي السِّويقة وتقام فيه الصَّلاة ويتعلم فيه الأطفال القرآن، علم فيه بن باديس والصَّالح ابن العيد وعبد القادر المجاوي.

1-4-4- النَّوادي: يقصد به تلك الفضاءات التي كانت ملتقى يجتمع فيه شباب التَّعليم الحرِّ، وغالبا ما كان تحت إشراف جمعية تسيِّره مرافقه ونشاطاته، والهدف منها نشر الوعي القومي في الجزائر إبَّان عهد الاحتلال الفرنسيّ، وهي إحدى الأدوات التي استعملتها الحركة الإصلاحية -ضمن عدة وسائل للكفاح والنضال- وكانت إحدى الرَّوافد الجديدة التي ساندت الجهاد التربوي والتَّعليمي دون الاعتماد على السِّلاح، فاعتمدت صناعة تيار مناهض للاحتلال من خلال التَّأثير على الرَّأي العام، وفضح جرائم فرنسا ومطالبتها بتلبية مطالب الشَّعب.

اعتبرت النَّوادي أهمَّ أدوات الإصلاح والتَّغيير في تاريخ الجزائر، لأنَّها شكلت أهمَّ فضاءات الحياة الأدبية والفكرية، فالظُّروف الدَّاخلية التي ساهمت في ولادتها هو ظهور فئة من النخبة المثقفة ومن العلماء والمصلحين الذين طالبوا بنشر التَّعليم وتعاليم الإسلام مثل عبد القادر المجاوي وابن زكري وعبد الحليم ابن سماية، ومن أهم النَّوادي التي كان لها الصَّدى الواسع في التعليم العربي الحرّ في الجزائر إبان الفترة الاستعمارية نجد:

نادي صالح باي تأسَّس في 1907م، **وكان** مقرُّه في قسنطينة وهو عبارة عن مجمع للدِّراسات الأدبية والاجتماعية والاقتصادية، وتبنَّى مواصلة تعليم المسلمين وإحياء الفنون والصناعات الأهلية، وتعميم التَّضامن والتعاون بين الجزائريين، ولهذا النَّادي فروع تابعة في مناطق مختلفة في الجزائر مثل قالمة، ميلة، سوق أهراس وغيرها، ويقدِّم نشاطات قيمة للأعضاء التابعين له، ومنها نادي الإقبال، وتأسَّس في 1919م بجيجل وكان من بين المنشآت التي أدَّت دور المدرسة، وكان ملتقى اجتماعيا، ومركزا للإسعاف والكشَّافة، ومنها: **نادي الاتَّحاد الذي** تأسَّس في قسنطينة سنة 1932م، وتبنَّى السَّعي إلى خلق علاقة تقوم على تقوية أواصر المحبَّة بين أفراد المجتمع، وكان –بالإضافة إلى رسالته التَّعليمية– منبرا خطابيا خطب فيه ابن جلّول، وابن باديس ومبارك الميلي وغيرهم، وكانوا يدعون إلى الاهتمام بالجانب الدِّيني واللُّغوي للجزائر، والمحافظة على هويتها ومميزاتها.

تعرضت هذه النَّوادي قبل الحرب العالمية الثانية للمضايقات والرَّقابة الصارمة، وشدِّد في تمويلها المادي للقضاء عليها بسبب ما نشرته من علم ووعي في أوساط عمَّها الجهل.

الخاتمة

الخاتمة:

في ختام دراستنا لهذا الموضوع، يمكننا ايراد النَّتيجة العامَّة التي تتمثل في:

أدَّى الإمام البشير الإبراهيمي دورا مهما وفعَّالا في عملية الإصلاح، وأسهم بشكلٍ كبير في العملية التَّعليمية تطبيقا وتنظيرا، مستغلاً سعة اطِّلاعه على الأوضاع المزرية للتَّعليم في الجزائر، فمن خلال مزاولته للدِّراسة في المشرق اكتسب زادا معرفيا وخبرات مكَّنته من ممارسة مهنة التَّدريس ومعرفة طرقه، وهو اطِّلاع واسع جعله يستدرك ماهية العثرات والعقبات التي وضعها الاستعمار الفرنسي الغاشم في طريق الشَّعب الجزائري الذي عاش ظروفا صعبة، وتعرَّض للتهميش والمضايقات، فحرم من أبسط حقوقه التي كفلتها له الفطرة الإنسانية والتَّشريعات العالمية وهي الحقُّ في التَّعليم، فوضع الإمام البشير الإبراهيمي خطَّة رسم فيها منهجا متكاملا لتنظيم حركة التربية والتَّعليم في مؤسسات التعليم الحرِّ في الجزائر زمن الاحتلال،.

أمَّا عن النتائج الجزئية التي توصَّلنا إليها من خلال الفصول الأربعة، فيمكننا تلخيصها في التفصيل التالي:

– عرض الإبراهيمي للصِّفات الأخلاقية والمهنية التي يجب أنْ تتوفَّر في المعلم ليصبح نموذجا في المجالس العملية، ووجَّه المعلِّمين إلى المسار التَّعليمي الصَّحيح وعرَّفهم بطرائق التَّدريس النَّاجح.

الخاتمة:

– اعتبر الإمام البشير الإبراهيمي المتعلِّم ركنا أساسيا في العملية التَّعليمية، لأنه هو المقصود الأوَّل بها فشخَّص وضعيته السَّيئة ووضعه المادِّي الصَّعب وأرشد إلى حلول للتَّخفيف من آثار هذه المشكلات والحدِّ من آثارها.

– لاحظ الإمام البشير الإبراهيمي الخلل الموجود في المناهج المتداولة في مؤسسات التعليم العربي، فاقترح منهاجا مقابلا حاول به تطوير التَّعليم في الجزائر وإصلاح ما علق به منذ قرون طويلة.

– أدرك الشَّيخ البشير الإبراهيمي أنَّ نقص الموارد المادِّية يؤثِّر سلبا على المتعلِّمين وأساتذتهم لندرة المؤسَّسات التعليمية، وآمن بضرورة سدِّ هذا الخلل، فدعا إلى اللُّجوء إلى قطاعات الشَّعب الجزائري المختلفة لتغطية هذا العجز من خلال التَّبرُّعات.

و على الرُّغم من أنَّ تجربة التعليم الحرِّ في الجزائر المحتلَّة لم تدم فترة طويلة بفعل قيام ثورة التَّحرير؛ إلاَّ أنَّها كانت تجربة غنية بأعلامها ومؤسساتها وخرِّيجيها، وشكَّلت مشهدا بارزا من مشاهد المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي في الجزائر، ولا تزال جوانب كثيرة من جوانبها جديرة بالبحث والدِّراسة والتَّحليل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- محمَّد بن إبراهيم الهزاع، صفات المعلم، دار القاسم، المملكة العربية السعودية.

2- محمَّد حاج عيسى، أمانة التعليم أساس الإصلاح، موقع عيون نت، 18-10-2018. تاريخ الاطِّلاع: 14- 06-2022م، 06:48 مساء.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ج10.

4- أحمد أنور عمر، الكتاب المدرسي، د.ط، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ت.

5- البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، جمع أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

6- إيمان محمَّد نونو، دور زعماء الإصلاح تجاه المرأة في الجزائر في العصر الحديث، دورية كان التاريخية، العدد 12، 4 يونيو 2011.

7- بدر الحسين، كيف تكون معلما مؤثرا، ط2، دار الفكر، دمشق، 2012.

8- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بتصرف.

9- جريدة "الصِّراط"، السنة الأولى، العدد 4، 9 أكتوبر سنة 1933.

10- حسين ولهة، نحو فهم أعمق للأسس التَّعليمية عند البشير الإبراهيمي، مجلّة الممارسات اللّغوية، جامعة تيزي وزو، ع15، 2012م.

11- حنان قصبي ومحمَّد الهلالي، في المنهج، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2015م.

12- د. صلاح عبد الحميد مصطفى، المناهج الدراسية عناصرها وأسسها وتطبيقاتها، د.ط، دار المزيخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000م.

13- رابح التركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية في الجزائر المعاصرة، موضم للنشر، الجزائر، 2003م.

14- رشيد ناجي الحسن، المعلم القدوة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 581، 2014.

15- ريتشارد تمبلر، قواعد العمل، ط7، مكتبة جرير، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2012م.

16- سليمان مداح، إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجال التربية والتعليم، مجلة روافد، عدد خاص، 2022.

17- عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، الطباعة الشعبية، الجزائر، 2007م.

18- عبد الحميد بن باديس، الدُّروس العلمية بالجامع الأخضر بقسنطينة، الشّهاب، ج8، م10.

19- عبد الكريم بكار، صفحات في التَّعليم والنهوض بالشَّخصية؛ مكتبة دار السَّلام، مصر، ط1، للنشر والتوزيع والترجمة، 2011م..

20- عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريّين إبان حرب التحرير 1954م، ط5، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 2012.

21- فهمي توفيق المقبل، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، مجلة الدرعية، ع20، 2002م.

22- كوثر حسين كوجك، اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التدريس، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2001م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
إهداء وشكر وعرفان	
مقدمة	8
الفصل الأول: **مواصفات المعلم الناجح عند البشير الإبراهيمي**	
1-عناصر التعليم العربي الحر في الجزائر من وجهة النظر الإبراهيمية	16
1-1-المعلم الناجح عند محمد البشير الإبراهيمي	16
1-1-1-صفات المعلم الخلقية	16
القدوة الحسنة	16
الأمانة	19
الصبر	20
التواضع	22
1-1-2-صفات المعلم المهنية	22
أ- الثقافة الواسعة	22
ب-العدل	23
ج- سرعة البديهة ودقة الملاحظة	24
د-الإبداع	24
الفصل الثاني: **المتعلم في المدارس العربية الحرة**	
1-2- المتعلم في مدارس التعليم الحر خصوصية واقع أم خصوصية متعلم؟	27
1-2-1-معضلة انتظام المتعلمين باعتبار السن	28
1-2-2-اشتراك الجنسين في مدارس التعليم الحر	29
1-2-2-1- تعليم النساء	29

1-2-2-2- تعليم الذكور؛ الاستراتيجية والهدف	30
1-2-3-المتعلم الجزائري بين مدرستين ولغتين	31
الفصل الثالث: **مناهج التعليم في المدارس الحرة، والرؤية الإبراهيمية**	
1-3- المنهاج التربوي والتعليمي عند الإبراهيمي	34
1-3-1-في تعريف المنهج	34
1-3-2-المواد المقررة	35
1-3-3-الكتب المدرسية	38
1-3-4-التوقيت	40
1-3-5-العطل	41
1-3-6-التفتيش التربوي	41
1-3-7-التمويل	42
الفصل الرابع: **وسائل التعليم العربي الحر؛ بين الحاجة والتحدي**	
1-4- الوسائل	44
1-4-1-الكتاتيب القرآنية	45
1-4-2- المدارس	45
1-4-3-المساجد	47
1-4-4-النوادي	49
الخاتمة	52
قائمة المصادر والمراجع	55
فهرس المحتويات	59